لطائف عربية

من لطيف التفنن في صناعة الادب ما يروى من ان الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل كان اذا مُدح لا ينظر الى وجه مادحهِ فعمل ابن مطروح قصيدةً بنى قافيتها على الاشارة فكان كلما انتهى الى قافيةٍ اشار فنظر اليهِ الملك وهي هذه

تعشقتُ ظبياً وجههُ مُشرقٌ كذا ... اذا ماس خلتُ الغصن من قدّهِ كذا
لهُ مقلةٌ كحلآء نجلآء ان رنت ... رمت اسهماً في قلب عاشقهِ كذا
تجلّى فقال الناس لا بدرَ غيرهُ ... وخرَّ لهُ كل الورى سُجَّدًا كذا
اقول وقد عاينتهُ ويمينهُ ... على خدّهِ اذ ظلّ مفتكراً كذا
فدتك حياتي يا منى النفس هل ترى ... اراك ضجيعي ليلةً آمناً كذا
فقال اما تخشى الرقيب وتتقي ... عيون الاعادي والوشاةُ بنا كذا
فقلت لهُ والله يا غاية المنى ... كشفتُ قناعي فيك بين الورى كذا
وبحتُ بسرّي واطَّرحت عواذلي ... فأطرقَ اذ أوما باصبعهِ كذا
وقال اما انذرتك الآن أنني ... احبّ اكتتام السرّ قلت لهُ كذا
ومدَّ يداً نحوي يريد تشبُّثاً ... اليَّ فبادرت التزاماً لهُ كذا
وقبّلتهُ عشراً وأسبلتُ ادمعي ... على صفحات الخدّ من مقلتي كذا
ايا نسمات الروض بالله بلغي ... سلامي الى من صرت من اجلهِ كذا
وقولي لهُ ذاك الغريب املَّني ... اليكَ سلاماً من تحيتهِ كذا
عساهُ اذا وافت تحيةُ عبدهِ ... يسائل عن حالي بأنملهِ كذا

وأُقسِمُ بالله العظيم ووجههِ ال كريم والاّ متّ معتقداً (كذا)
لئن صدَّ عني وانثنى وهو مُغضَبٌ واصبح حبل الوصل من قربهِ كذا
تمسكتُ بالسلطان ايوب ذي الندى مبيد العدى من حدّ اسيافهِ كذا
مليكٌ قديرٌ قاهرٌ .متجاوزٌ سخيٌّ وفيٌّ ليس في وعدهِ كذا
مليكٌ اذا ما رمتُ اذكر فضلهُ عجزت فلا عدٌّ لاحصآئهِ كذا
مليكٌ اذا لاذ العفاة ببابهِ بدا جودهُ دفقاً لقاصدهِ كذا
مليكٌ اذا ما قمت ادعو تضرُّعاً لدولتهِ قال الانام إِذَنْ كذا
فجد ايها السلطان للعبد عاجلاً بكسوتهِ فالبرد في جسمهِ كذا
ومُنَّ على ضعفي بفروٍ وكُمَّةٍ اذا ما رآها صاحبٌ قال لي كذا
وعش وابقَ واسلم وارقَ واعلُ فانني احبُّ ارى اعدآءك الآن في كذا
فلازلت في امنٍ مدى الدهر ما سرت كؤوس الحميّا في اكفّ الورى كذا (١)

(١) كذا وجدنا هذه القصيدة في احدى المجاميع القديمة وقد تفقدناها في ديوان ابن مطروح المطبوع في مطبعة الجوائب فوجدناها مروية في اواخر الديوان مجردة عن ذكر السبب في نظمها على هذه القافية وقد سقط منها ما بعد بيت التخلص ووقع فيها خلا ذلك تبديل ونقص و زيادة فأقررناها على الصورة التي وجدناها عندنا ليتمكن من عندهُ الديوان من المقابلة بين النسختين

ولسنا ننكر على المطالع ما في بعض ابيات هذه القصيدة ولا سيما ابيات المدح من المواضع التي يصعب استخراج معناها وتحقيق الاشارة المقصودة فيها مع قلة ما فيها من المعاني المستجادة وما يتبين من الضعف في كثير من ابياتها وانما رويناها في هذا الموضع لغرابتها في باب النظم وعندنا انهُ لو نظم بعض شعرآئنا المجيدين على هذه الطريقة مع توخي النباهة في المعاني والطلاوة في الالفاظ والاساليب لم يخلُ ما يأتي بهِ عن فكاهةٍ مستملحة ولكان لهُ في هذا النوع من القوافي مكانٌ لتوليد كثيرٍ من المعاني والنكات مما لا يتأتى في غيرها